تجليّات ظاهرة الإبدال بين الصوامت في العاميّات الجزائرية (العامية التلمسانيّة أنموذجا)

أ.إيمان هنان
قسم علوم اللسان
جامعة الجزائر (2)

الملخص:

إنّ المتكلم بالعاميات الحديثة ، يسعى دائما إلى بذل أقل جهد عضلي ممكن، ولاسيّما في مواضع الأنس والاسترخاء، فيكثر من استعمال بعض الظواهر الصوتية التي سنّتها قوانين التطور اللغوي، وذلك تسهيلا لعملية النطق، وعلى هذا الأساس حاولنا في هذه الدراسة تبيان تجليّات ظاهرة الإبدال الصوتي في مدينة تلمسان الجزائريّة، و تأثير الأصوات المتقاربة في المخارج والصفات، وذلك لما تتميّزبه عن باقي المدن الجزائرية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: اللغة، العامية ، الإبدال، الأصوات، تلمسان.

مقدمة:

لما كانت اللغة نشاطا إنسانيا يتأثّر بالمجتمع الذي ينتمي إليه ، تباينت مستويات التعبير بها تبعا لتعدد استعمالها من لدن ناطقين يختلفون باختلاف طبقاتهم، وفئاتهم الاجتماعية، ناهيك عن تباعد الفوارق الزمانية و المكانية بينهم.

وقد أورد اللغويون منذ القدم مستويات رئيسة للأساليب المتواصل بها في اللغة العربية من خلال رصدهم لوظيفتها الاجتماعية، بملاحظة تنوع تأديتها وتباين استعمالها داخل المجتمع العربي. ويقول الجاحظ في هذا الشأن: «و كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات؛ فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والقبيح والسمح والخفيف والثقيل وكله عربي...»[1].

والحق أنّ اللّغويين القدامى قد ذكروا أنّ في لغات العرب اختلافات طفيفة – خاصة فيما يتعلق بالمستوى الصوتي الذي يشمل الأصوات وكيفية صدورها، والإبدال الذي يحدث بينها– لا تعوق عملية التواصل بين العرب أجمعين، ومن بين من تناول هذه المسألة أحد جهابذة الفكر العربي "أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي" الذي انتهى إلى أن الخلاف بين اللهجات العربية القديمة ليس خلافا عميقا إنّما هو خلاف يسير لا يمس الأصول بل الفروع فيقول: «هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا مهيج عليه وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما في الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به»[2].

وعلى هذا الأساس نجد أن للغة العربية مستويين تعبيريين متفاوتين خلال عملية التواصل؛ الأول يتعلق باللغة الفصحى أو ما يسمى باللغة العربية المشتركة، والآخر متعلق باللغة العامية لغة التفاهم في الحياة اليومية.

1- مفهوم العامية لغة واصطلاحا:

أ- المعنى اللغوي للعامية:

يذكر أرباب الكتب والمعاجم اللغوية العربية أن العامية مشتقة من لفظة

---

(1)- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان، ج1، 1948ص144.

(2)- ابن جني، الخصائص، تح. محمد علي النجار، المكتبة العلمية: لبنان، دت، ج1،ص243، 244.

العام المقابل للخاص، جاء في اللسان: «والعامة خلاف الخاصة، قال ثعلب سميت بذلك لأنها تعم بالشر والعمم العامة اسم للجمع، وقال: رؤبة أنت ربيع الأقربين والعمم. ويقال رجل عمّي ورجل قصري فالعمّي العام والقصري الخاص. وفي الحديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءا لله وأهله وجزءا لنفسه ثم جزءا جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة»[1].

والعامي من الكلام ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي، والعامية لغة العامة وهي خلاف الفصحى[2].

ب- المعنى الاصطلاحي للعامية:

لقد أحدثت ظاهرة اللحن التي هجمت على ألسنة الفصحاء ما يعرف بالعامية حديثا أو لغة العامة أو العوام كما يسميها القدامى.

و بناءً على ذلك فإننا نلفي الكثير منهم من تكلم بإسهاب عنها وأفرد المؤلفات[3] في موضوعاتها من أجل المحافظة على اللغة الفصيحة وإعادة الخارجين عنها إلى حظيرتها، ولابأس أن نستعرض ما أشار إليه العلامة ابن خلدون في مقدمته وهو يعرف ويصف العامية وصفا دقيقا يقول فيه: « وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي كانت للعجم، فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى»[4].

---

(1)- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محققة، مادة عمم.

(2)- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط3، 1985، ج2، ص 652..

(3) - كلحن العامة للزبيدي وتقويم اللسان لابن الجوزي ...إلخ

(4)- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ،ط3،دت، ج4، ص1089.

هذا ويبقى كتاب «البيان والتبيين» أوضح مثال وصل إلينا عن لغة العامة والعوام، وأشار فيه صاحبه إلى شيء غير قليل من الظواهر المميزة لهذه الفئة المجتمعية في كثير من مواضعه حيث يقول: «و إذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة، ولست أعني الأكراد في الجبال، وسكان الجزائر في البحار، ولست أعني من الأمم مثل السير والطليسان ومثل موتان وجبلان وأمثال الزنج ... وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا و أدبنا وأخلاقنا، لم يبلغوا منزلة الخاصة منا على أن الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضا».[1]

ونستنتج من كلام الجاحظ أنّ الفلاحين والأكراد و غيرهم من الأمم المختلفة التي ذكرها، ليسوا من العوام ولا من الخواص أيضا، بل العامة إنما هي من العرب بدينهم ولغتهم وأخلاقهم التي تختلف اختلافا بينا مميزا لهم عن العجم، ويؤكد الجاحظ أيضا أن الخاصة تتفاضل في المنزلة والطبقة.

وبوقوفنا اليوم على مفهوم العامية لدى اللغويين المحدثين، نجد أن تحديداتهم مرآة عاكسة لنزعاتهم الفكرية والنفسية، الأمر الذي أدى إلى اختلاف استعمالهم لمصطلح العامية إذ أنّنا نجد دعاة العامية يميلون إلى استعمال مصطلح «اللغة العامية» أو «اللغة المحكية» بينما يميل المحافظون إلى الفصحى والساعون لحمايتها إلى استعمال لفظة لهجة بمعنى «اللهجة العامية» أو «اللهجة الإقليمية» في أغلب بحوثهم التي تناولت مسألة الفصحى والعامية.

وعلى العموم فإننا نجد العديد من تعريفاتهم لا تخرج البتة عن نطاق تعريفات القدامى للعامية، فهذا «عبد الرحمن الحاج صالح» يعرّفها بأنها اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمن بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنزل

(1)- الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص137.

و في وقت الاسترخاء والعفوية»[1]. وإلى مثل ذلك أشار «عبد الله عطوات» بقوله: «فهي لغة الحديث التي نستخدمها في شؤوننا العادية، ويجري بها حديثنا اليومي، وهي لا تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عبارتها لأنها تلقائية متغيرة تتغير تبعا لتغير الأجيال وتغير الظروف المحيطة بهم».[2]

أما أحمد علم الدين الجندي، فيؤكد أن هذه اللهجات العامية ما هي إلا انحراف وخروج عن العربية الفصحى بقوله:« فالعامية قد انحرفت في هذه الأقطار العربية عن الفصحى»[3].

وهكذا استقر لنا القول في الأخير أنّ العامية كما هو واضح من التسمية هي لغة العامة جميعا فهي لا تقتصر على طبقة من الناس دون أخرى، وهي لغة التخاطب اليومي التي يحسنها كل فرد من الأفراد عالما كان أو جاهلا، كبيرا أو صغيرا، ذكرا أو أنثى، وتسير جنبا إلى جنب مع اللغة النموذجية ونقصد بها اللغة الفصيحة التي ينصرف إليها الخواص من مثقفين وأدباء في مواقفهم وسياقاتهم الرسمية..

2- أسباب نشأة العامية:

تعد اللغة في كُنه حقيقتها إحدى أهم الظواهر الاجتماعية التي تخضع لطبيعة المجتمع الإنساني، فتنشأ وفق ما يقتضيه سلوك أفراده في جميع مناحي حياتهم، وتغيّر اللغات قانون ثابت لا مراء فيه يصيب بنيتها الجوهرية دون استثناء، ولا يمكننا تحليل هذا التغير أو فهمه إلا في إطار التغير الذي تعرفه الحياة الجمعية، الشيء الذي أدى إلى ظهور الكثير من العاميات

(1)- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، 2007، ج1، ص64.

(2)- محمد عبد الله عطوات، اللغة بين الفصحى والعامية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص 65.

(3)- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983، ج1، ص131.

التي تتنوع هي الأخرى، و تختلف باختلاف المجتمع الذي تجري على ألسنته. واللغة العربية ليست بدعا من اللغات التي خضعت لقانون التغير الحتمي، فلم تسلم بذلك من انشعابها إلى أشكال تعبيرية متنوعة اتّفق على تسميتها باللهجات والتي تكون بموجبها ما نسميه باللغة العامية.

ولا ريب أن العامية مرت بمراحل النشوء والطفولة: يقول «سعيد الأفغاني»: «يعتري بعض الكلمات ما يعتري حياة الأحياء ميلاد، فترعرع، فتقلبات في أطوار بعد أطوار إن ما صح في كلمات يصح في اللهجات المحليات ألفاظا وأصواتا ومركبات.». [1]هذا وترجع نشأة العاميات إلى عوامل يمكن حصرها إجمالا كما ذكرها اللغويون فيما يأتي:

أ-اللحن: إن مما تقدم ذكره في شأن اللحن الذي شاع على ألسنة العرب الفصحاء لأبين دليل على أنه من أول إن لم نقل من أهم مظاهر نشوء العامية وابتعادها عن الفصحى، فقد كان بمثابة الداء العويص الذي نفذ إلى جسد اللغة الفصيحة فأعياها بمختلف ضروب اللحن والخطأ، يقول في هذا الصدد ابن خلدون: «فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا الأعاجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين ... ففسدت بما ألقى إليها مما يغاير لجنوحها إليه باعتياد السمع»[2].

وينبغي هنا أن نشير إلى عامل آخر له علاقة وطيدة بالعامل الأول وهو احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية؛ فقد كشفت الدراسات اللغوية اللثام عن سر تسرب جملة من الألفاظ الأعجمية إلى العربية، ومرده يعود إلى مخالطة العرب للأعاجم نتيجة غزو أو هجرة أو لأغراض تجارية وثقافية وغيرها من مختلف التبادلات التجارية، فكان لهذا الأمر

(1)- سعيد الأفغاني، قصة العامية في الشام، مجمع اللغة العربية في القاهرة، 1978، ج41، ص43.

(2)- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج3، ص1265.

الأثر الواسع في ظهور اللهجات العامية الحديثة ،وهذا ما أشار إليه «إبراهيم أنيس» قائلا:«فاحتكاك اللغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة باللغات المغزوة التي تشمل على لهجات أيضا يولد لنا أنواعا جديدة من اللهجات، فنحن حين نستعرض اللهجات العربية الحديثة، لزاما قد اتخذت في مصر شكلا من الأشكال يباين ذلك الذي اتخذته في العراق أو الشام أو بلاد المغرب» [1].ويضيف «عبده الراجحي»: «وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوي فاللهجات العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه، ولهجاتنا العامية الحالية فيها مظاهر كثيرة من آثار الاحتكاك اللغوي»[2].

ب- **العوامل الجغرافية:** تعد العوامل الجغرافية من المعايير الرئيسة التي يلجأ إليها العلماء في تصنيفاتهم لمعالم التنوعات اللغوية المختلفة، فقد فعلت الفروق البيئية والجغرافية البعيدة أفعالا عجيبة في اللغة الفصيحة فقامت بتوجيهها لدى كل أمة من العرب وجهة تختلف عنها عند غيرها، فنهجت لها في المسائل اللغوية منهجا يختص بها ويختلف عن غيرها من الأمم الأخرى «... بل إنّنا نجد كثيرا من خصائص الأقاليم الجغرافية تنطبع في لغة قاطنيها، ومن أجل اختلاف الأقاليم والسكن والنزوح والاستقرار تختلف مظاهر اللهجات بين سكان الجبل والصحراء والأودية وبين سكان الجنوب والشمال ... فاللغة كما أنها لصيقة بالدين والأدب والتاريخ والقومية نراها كذلك لصيقة بالجغرافيا و الأرض»[3].

وعليه فإن تماشي اللهجة والبيئة الجغرافية أمر لا يختلف فيه أهل النظر؛ فحاجة المدني إلى المفردات الجديدة التي تناسب حياته المتطورة

(1)-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1965 ص23.

(2)- عبده الراجحي،اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،المعرفة الجامعية ، 1998، ص38.

(3)-أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، ص34.

تختلف عن حاجة البدوي الذي يكتفي بالرعي والصيد؛ فتتميز لهجته بخشونة أصواتها ولبس ألفاظها كصعوبة الحياة التي يعيشها، بيدَ أنّ المدني يميل إلى انتقاء الألفاظ المتحضرة والأصوات الرقيقة فيلجأ إلى الحذف، والإيجاز، والإبدال وغيرها من الظواهر اللغوية التي أسهمت بشكل أوبآخر في نشأة العاميات العربية.

هذا وتختلف العاميات تبعا لاختلاف إقليمها وما يحيط به من الظروف ومميزات خاصة به، «ولو أمكن أن تتحد تلك الظروف لاتخذ الكلام طريقا واحدا في تطوره، وشكلا واحدا في تغيره ولظلّت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تتشعب إلى صفات متباينة، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالا متغايرة في تطور لهجاتها»[1].

ويلجأ العلماء حديثا في تصنيفهم للهجات العربية إلى إحدى أهم الوسائل التي تعد نوعا من العرض الجغرافي للغة ولهجاتها المتنوعة، معتمدين في ذلك على صنع جملة من الخرائط توزع عليها مختلف الظواهر اللغوية في بيئة ما، ويقوم بجمعها في نهاية المطاف –أطلس لغوي عام- يستعان به في الكشف عن التطورات التي تتعلق بالتنوعات اللغوية والتغيرات التي تصيب اللغة الفصيحة في بيئات متعددة .

ج- **العوامل الاجتماعية** : لما كان المجتمع يتميزبحدة الفوارق بين طبقاته الاجتماعية تبعا لمقاييس مختلفة كمقياس المستوى الثقافي والمعيشي، ومقياس السن أو الجنس، وطرق التفكير والوجدان، اختلفت الأساليب الكلامية من طبقة إلى أخرى باتخاذ كل طبقة لهجة تتماشى مع مميزات أفرادها وهويتهم الاجتماعية، فنجد في المجتمع الواحد طبقة الأغنياء التي تنتقي أجمل الألفاظ وأحسنها لتبدو في أرقى صورة، تبين موقعها الرفيع في

(1)- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص20.

السلم الاجتماعي على خلاف الطبقات الأخرى؛ التي تتميز بالبساطة والعفوية في استرسالها للكلام لما تقتضيه حياتها من بساطة وسهولة في العيش.

وانطلاقا من ذلك، فلا جرم أن لكلّ مجتمع عادات لغوية تميزه عن المجتمعات الأخرى، يقول في هذا الصدد «عبده الراجحي»: « إن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجوده اللهجات، فالطبقة الأرستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع، ويلتحق بذلك أيضا ما نلاحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية، إذ تنشأ لهجات تجارية، وأخرى صناعية وثالثة زراعية وهكذا»[1].

د- العوامل الفردية: يرى كثير من اللغويين المحدثين أن الأفراد يختلفون في تأديتهم اللغوية حتى وإن انتموا إلى بيئة اجتماعية وواقع لغوي مشتركين؛ «فما من فردين يتحدثان بنفس اللغة تماما لأنه لا يمكن أن يتوفر لهما نفس القدر من التجارب والخبرات باللغة»[2]، بل إننا نلفي في كثير من الأحايين أن الفرد لا يتكلم باللغة نفسها، فينتقل من أسلوب إلى أسلوب مغاير حسب المقام وموضوع الحديث والظروف المؤثرة التي تحيط به أثناء عملية التكلم، ساعيا وفقها إلى ضبط سلوكه اللغوي بغية تحقيق حاجاته التبليغية مع الآخرين. ولم يكن بد من أن يفضي ذاك التباين اللغوي بين أفراد المجتمع الواحد إلى نشأة اللهجات العامية، يقول» عبده الراجحي» في هذا الشأن :« و اختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى»[3]، وعليه فمن المستحيل وجود تطابق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق لدى أفراد الشعوب، « فمن المقرر أن أعضاء النطق في

(1)- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص38..

(2)- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد ، عالم الكتب ، لبنان ، ط 2، 1990، ص27.

(3)- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص39.

الإنسان في تطور طبيعي... فهي تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين بل إنها لتختلف... عمّا كانت عليه عند آبائنا الأقربين»[1].

وقضى هذا الاختلاف أن تسلك الأصوات العربية مسلكا مغايرا عن بعضها البعض. ويؤكد «علي عبد الواحد وافي «هذا الأمر قائلا: « وغني عن البيان أن كل تطور يحدث في أعضاء النطق أو استعداداتها يتبعه تطور في أصوات الكلمات، ولم يكن مفر من أن تتغير ألفاظ اللغة العربية عن حالتها الأولى في الأمم الناطقة بها»[2].

وعليه أخذت الهوة تتسع بين اللهجات العامية حتى أضحى التفاهم بين أفراد الجنس العربي صعبا لدرجة يصعب الحديث عنها، على أمل أن يبقى الاتفاق بينهم ما دام أن هنالك لغة باقية ببقائهم على هذه المعمورة.

فلا غرو بعد هذا كلّه أن نخلص إلى أن العاميات نشأت بتعدد البيئات واختلاف المواقع الجغرافية، وعادات أهلها وتقاليدهم. فضلا عن اللحن الناتج عن احتكاك العرب بالأعاجم، فكان أن فرضت تلك العاميات وجودها في كل الشعوب العربية وسارت الى جانب اللغة الفصيحة لغاية يومنا هذا مشكلة معها ما سمي حديثا بالازدواجية اللغوية، هذه الأخيرة ما فتئت أن أصبحت من أهم أبعاد الواقع اللغوي الجزائري على وجه الخصوص.

3- تجليّات ظاهرة الإبدال في الأصوات المتقاربة في المخرج أوالصفة:

شاءت سنن التطور والارتقاء التي ترسمها قوانين علم اللغة أن تصيب الأصوات العربية جملة من التغيرات المطلقة والمقيدة، وقد حرص علماؤنا العرب على تناول هذه الظواهر الصوتية الهامة بدراسة مستفيضة أرسى دعائمها القدماء وقوى بنيانها المحدثون فنتجت عنها آراء قديمة كان لها

(1)- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3، 2000، ص106.
(2)- نفسه ص106.

الفضل الكبير في إثراء الدرس الصوتي العربي بحقائق علمية موضوعية صادقة.

والإبدال في اللغة مصدر أبدل والبدل هو العوض[1]،والأصل فيه هو جعل الشيء مكان غيره، مثل إبدالهم الواو تاء فيقولون في والله تالله[2]، أو قيام الشيء مكان الشيء الذاهب. وفي الاصطلاح: هو أن تقيم حرفا مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة وإما استحسانا[3]، ولكن لابدّ من توافر صلة صوتية بين الصامتين، المبدل والمبدل منه، تتجلى بخاصة في اتحادهما في المخرج، إلى جانب اشتراكهما في بعض الصفات، أوعلى الأقل قرب مخرجهما وصفاتهما.

وقد كان من سنن العرب إبدال الحروف إقامة بعضها مقام بعض[4]، «والذي يراد من عملية الإبدال هو تقريب بين صوتين متجاورين والتخفيف على الناطق بأن لا يتكلف أثناء النطق ولا يبذل جهدا... على أنّ الأصل من الإبدال أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف، وهذا قائم على اختلاف اللغات والغرض منه إرادة الخفة والمجانسة»[5]، يقول «عبد الصبور شاهين»: « ولا يكون الإبدال إبدالا حقا إلّا إذا كان بين المبدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أوالاشتراك في بعض الصفات كالجهر، والهمس، والشدّة ، والرخاوة»[6]. وأضحت هذه الظاهرة من العوامل الرئيسة التي أدّت إلى تباين العاميات العربية فيما بينها وابتعادها عن اللغة العربية الفصيحة.

(1)- ابن منظور لسان العرب، مادة عوض، والمعجم الوسيط، ج2، ص43.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مادة بدل.

(3)- موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ،لبنان،دت، ج10،ص7.

(4)- ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تعليق أحمد حسن بسج، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، ،1997 ص333.

(5) - عادل هادي حمادي العبيدي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، مكتبة الثقافة الدينية ا،لقاهرة ،ط1، 2005 ص48.

(6) -عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة ،دط، 1994، ص75.

وقياسا على ذلك، فإنّ العامية الجزائرية حظيت بمظاهر شتّى لهذه الظاهرة الصوتية، ففي كل مدينة من مدن هذا الوطن الشاسع ما يميزها عن غيرها، بل إننا نلفي في مدينة جزائرية واحدة بعض سكانها يفضل استعمال حرف والبعض الآخر يحبذ استعمال حروف مغايرة ،ولأن العامية التلمسانية تتميز بخصائص صوتية منفردة لاسيّما ظاهرة الإبدال، فقد تخلصت من الأصوات العسيرة التي تتطلب مجهودا عضليا كبيرا، وعليه فإنّ كلّ الصوامت العربيّة[1]، موجودة باستثناء خمسة منها لم يعد لها وجود، وهي كالتالي الثاء، الذال، الضاد، الظاء وأخيرا القاف، دون أن ننسى إبدال الهمزة أو تخفيفها، وهي ظاهرة موجودة في كلّ العاميات العربيّة دون استثناء، الأمر الذي دفعنا الى القيام- قدر المستطاع- بكشف اللثام عنها فجاءت كالتالي :

3 - 1- إبدال الهمزة: لما كانت الهمزة حرفا ثقيلا بعيد المخرج، صعب النطق به استعمل العرب عدة طرق للفرار منها ومن هذه الطرق إبدالها حرفا من غيرها كحروف العلة مثل الواو أو الياء أو الألف[2]، «فلا شيء أقرب من حرف العلة ولا أولى به منها» [3]، فنبدلها حرف علّة مجانسة للحركة التي قبلها[4].، يقول « جان كانتينو « عن وليام مارسي: «» وأما لهجات المغرب العربي فإنّ تطور الهمزة قد بلغ حدًا أبعد ممّا بلغه في الشرق، ذلك أنّ الهمزة كادت تضمحل تماما، فقد أشار وليام مارسي إلى أنّ الحروف الشديدة الأقصى حلقية لا تظهر إلّا في الكلمات التي أخذوها عن العربيّة الفصحى، أمّا

(1) - اعتبر اللغويون القدامى أنّ أصل حروف العربيّة 29 حرفا، انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة: بيروت لبنان، ط. 1، 2002، ص41.

(2)- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها و حججها، تح محي الدين، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق،1974،ج1، ص72.

(3)- الكتاب، ج3، ص544

(4)ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص108

في اللغة الشعبيّة فإنّ الهمزة إمّا تسقط تماما أو تعوض بنصف حركة أي بواو أو بياء كما في اللهجات الشرقيّة»[1].

أ- إذا جاءت الهمزة ساكنة وما قبلها مضموم أبدلت واوا نحو مومن في مؤمن.

ب- إذا جاءت الهمزة ساكنة وما قبلها مكسور تقلب ياء نحو: ذيب في ذئب و بير في بئر.

ج- إذا كانت ساكنة وقبلها فتحة تقلب ألفا تقول العامة «راسي واجعني» بمعنى بي وجع في رأسي ، «لاباس» من لابأس وغير ذلك.

د- إذا كانت متحركة وما قبلها مد تتحول إلى ياء نحو فايدة من فائدة، مصايب من مصائب.

3 - 2 - إبدال القاف همزة : يعد صوت القاف مثالا حيا لهذا النوع من التغير الصوتي، فقد اختفى من لهجة التلمسانيين الأصليين وحل محله صوت الهمزة، ومعلوم أن تطور القاف إلى همزة هو قانون عام في لهجات معظم الحواضر العربية الحديثة، فجميع سكان الحضر في مصر والشام كما في مدينة تلمسان ينطقون القاف همزة، ممتثلين في سلوكهم اللغوي لمبدا التميز Principe de distinction، فهم يعتدون بأنفسهم كونهم متميزين عن البدو الذين ينطقون القاف قافا،يقول في هذا الصدد «جان كانتينو»: «وأما اللهجات التي صارت القاف فيها إلى مجرد همزة تنطق بغلق رأس قصبة الرئة فلهجات حضرية في أكثرها، وخاصة لهجات حلب واللاذقية، وحماه، وحمص، ودمشق وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصفد، وحيفا، ويافا، وبيت المقدس، وحبرون، وغزة والاسكندرية، والقاهرة، والقسم اليهودي من مدينة الجزائر، والقسم المسلم من تلمسان، وفاس»[2].

(1)- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربيّة،ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية 1966،دط،ص135.

(2)- جان كانتينو ، في علم الأصوات العربية ،ص109..

تعتبر تلمسان مركزا حضريا بالمحافظة الشديدة على الخصائص الاجتماعية والثقافية والتي تنعكس بالأساس على منطوق سكانها فمن المفيد أن ننوه بالطريقة التي يتباين فيها النموذجان = الحضري والبدوي – خاصة قبل النزوح نحو المدينة في العهود القليلة الفارطة حيث أن كل نموذج يمثل المجموعة الكلامية التي ينتمي إليها إما كحضر أو كبدو..

والخاصية التي تميز النموذجين اللهجيين المتباينين هي نطق الفونيم / ق / همزة في المدينة ، أما في الأماكن الريفية فينطق / ق / g، فلهجة تلمسان موسومة باستعمال الهمزة، حتى أنّه في الجزائر من يستعمل هذه الخاصية يعرف مباشرة بأنه قادم من مدينة تلمسان، فالمجتمع التلمساني يحاول من خلال هذا الاستعمال أن ينفرد بهذه الخاصية في الجزائر، وكل المغرب العربي إذا ما استثنينا مدينة فاس المغربية[1]

ويبدو أن هذا النوع من التطور في القاف قديم في اللغات السامية[2]، فقد وجدت ظاهرة إبدال القاف همزة في اللغة البونية وكذلك في لهجة مالطة[3]. كما أشارت المعاجم العربية وكتب اللغة إلى أنّ تطور القاف إلى همزة كان معروفا عند العرب في عصور الفصاحة، وأوردت لنا جملة من المفردات الفصيحة مروية بوجهين أحدهما القاف والآخر الهمزة. جاء في لسان العرب لابن منظور «زنق على عياله وزنأ عليهم اذا ضيق عليهم فقرا وبخلا» واستشهد ببيت العفيف العبدي :

لاهم أن الحراث بن جبلة زنأ على أبيه ثم قتله[4]

(1) - Philipe marçais, les parlers arabes, esquisse grammaticale de l'arabe maghrébin, Larousse, 1977, p225

(2)-فوزي حسن الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1،2004ص55.

(3)-أحمد علم الدين الجندي ، اللهجات العربية في التراث، ص133.

(4)- لسان العرب، مادة زنق

وروى أبو الطيب اللغوي في كتابه «الإبدال» ما جاء عن أبي عمرو قولهم: الأفز الوثبة بالعجلة والقفز الوثب[1].

وخليق بنا أن نسلم أن نطق الهمزة أخذ موقعا مستمرا ومطردا لا يعرف الشذوذ في العامية التلمسانية، ولم نجد في الكتب متى شاعت هذه الظاهرة بالضبط في المدينة، إلا أنه ينبغي أن نؤكد على أنّها ظهرت مند عهد غير بعيد، فهذا «عبد الرحمان بن خلدون» لم يشر في مقدمته إلى وجود الهمزة بدل القاف في ألسنة أهل زمانه في المغرب العربي، فقد ذكر ابن خلدون عند وصف نطق القاف لدى معاصريه (في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري) أنّ خاصية الجيل العربي في عهده هو نطقهم القاف متوسطة بين الكاف والقاف[2]، ولم يعط «ويليام مارسي» قسطا كبيرا من الشرح و البيان، بل اكتفى بإشارة خفيفة مفادها أن عددا من سكان تلمسان يصعب عليهم النطق بالقاف فيبدلونه همزة، ويؤكد ذلك أن عبد العزيز الزناقي لم يسجل لها أثرا في كتابه ق بلهجة تلمسان المطبوع سنة 1904، فقد أورد فيه القاف على أصلها الفصيح بالرغم من أنه مثل الواقع اللهجي آنذاك.

ويرى التيجيني بن عيسى أن البدايات الأولى لانتشار هذه الظاهرة، قد حدثت بعد نزوح الأندلسيين إلى شمال المغرب العربي، بدليل وجودها في المغرب الأقصى بمدينتي طنجة وفاس، ولكنها شاعت شيوعا واضحا بعد رجوع أهل تلمسان الذين هاجروا إلى الشام ومصر[3].

وتجدر الإشارة الى أنّ تلمسان كباقي المدن الحضرية طرأ عليها تغيير كبير نتيجة عوامل كثيرة، نذكر من بينها عامل النزوح الذي لعب دورا في تقليص نسبة الصفاء التي كان يتميز بها أهل تلمسان، فتوفر وسائل النقل لأهل البدو

(1)- أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ، ص133.

(2)- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج3، ص1283

(3)- التيجيني بن عيسى ، لهجة تلمسان وعلاقتها بالفصحى، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، ص 39

ساعد على الاتصال اليومي بأهل المدينة ضف إلى ذلك عامل المصاهرة مع البدو،الأمر الذي قلّص من نسبة الخصائص المميزة للهجة تلمسان.

ورغم هذه العوامل التي ربما شوهت وأفقدت منطوق تلمسان مميزاته الخاصة، إلّا أنّه يحسن بنا أن نسجل الدور الهام الذي يقوم به المجتمع النسوي التلمساني في سبيل الحفاظ على هذا التراث اللغوي.

3-3 - إبدال الأصوات الأسنانية: تعد الأصوات الأسنانية من الأصوات العربية التي يستصعبها اللسان البشري[1]، ونظرا للجهد العضلي الذي يصاحب نطقها، اندثرت وتحولت إلى أصوات قريبة منها، فالإنسان يتلمس أيسر السبل وأسهلها محاولا التخلص من الأصوات العسيرة للوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه[2].

لقد تخلصت معظم لهجات الحواضر العربية بما فيها العامية التلمسانية من الثاء والذال والظاء، وهي أصوات رخوة، فحلت محلها التاء والدال والطاء (الدال المفخمة)، وهي أصوات شديدة لا تتطلب بالمقارنة معها عناءً أو مجهودا عضليا كبيرا، بيد أنّ اللهجات البدوية حافظت على الأصوات الرخوة، ولم تبدلها، وعليه فإن الأصوات الأسنانية هي من بين أهمّ المفارقات التي تميّز بها الحضري عن البدوي.

وقد أرجع بعض العلماء علّة انتقال صفة الأصوات من الرخاوة إلى الشدة إلى أن اللسان في الأصوات الشديدة يصطدم بالحنك الأعلى؛ فيلتقي بها التقاءً محكما ينحبس معه النفس، وهذا أسهل عليه من حالة النطق بالأصوات الرخوة حيث تقف حركة اللسان عند مسافة قصيرة من الحنك ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء[3]. ومن الحروف الأسنانية التي حدث فيها إبدال في العامية التلمسانية نجد:

(1)- ابن دريد ،جمهرة اللغة ،تح رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين ،ط1، 1987،ج1،ص12.

(2)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص253

(3)- المرجع نفسه، ص176.

أ-التاء والثاء : والأمثلة كثيرة حيث أننا لا نجد لحرف الثاء أثرا في لسانهم وعوض بصوت التاء، كما هو الشأن في بعض المدن الحضرية كالجزائر العاصمة ويمكن عد نطق الثاء تاء معيارا هاما يتميز به الحضر عن سكان القرى والأماكن الريفية الذين يحافظون في نطقهم على الثاء ولا يبدلونها تاء.

ومعلوم أنّ هذا النوع من الإبدال ساد لهجات عربية حديثة[1] وحتى قديمة[2]، وأصبح قانونا مطردا لا يعرف استثناء غير أن نطق الثاء تاء في العاميّة التلمسانية يكون دائما مصحوبا بزائدة صوتية تعطيه صفة الرخاوة فينطق (تس)، وقد لاحظنا بوضوح أنّ هذه الظاهرة متفشية بعمق في لسان جميع الفئات التلمسانية، فمن خلال مساءلاتنا، تبيّن لنا أنّ هذه الخاصية لا تتغير بين أهل المدينة فلا نسمعهم ينطقون التاء (t) التي تستعمل بين أهل الريف. من ذلك قولهم : تسئيل في ثقيل، تسوم في ثوم وغيرها.

وقد انتقل مخرج الثاء إلى الوراء قليلا فالتاء من الأصوات الأسنانية اللثوية والثاء من الأصوات الأسنانية وهما يتصفان بالهمس ، وهذا القرب المخرجي مع الاتحاد في صفة الهمس هو الذي أدى إلى إبدال الثاء تاءً . وهذه الظاهرة اللغوية نسبتها بعض المصادر إلى اليهود[3]، وبعضها إلى بني قريظة وبني النظير[4]، وبعضها إلى يهود خيبر[5]وقد قال شاعرهم السموأل :

(1)- نجد هذا النوع من الإبدال في لهجة الشاميين، والمصريين ،وبعض المغاربة.

(2)- ابن الجوزي ،تقويم اللسان ،تح عبد العزيز مطر ،دار المعارف ،القاهرة ،ط2، 2006، ص89.

(3)- أبو زيد الأنصاري،النوادر في اللغة ،تح محمد عبد القادر، دار الشروق،بيروت،ط1989،1،ص347.

(4)-أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده ، المخصص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط،دت،ج3، ص95.

(5)- الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ،تح ابراهيم أبو الفضل وغيره ،عيسى البابي الحلبي ، ط2 دت،ج1،ص351.ولسان العرب مادة ،خ ب ت

وآتاني اليقين انّى إذا ما مت وإن رمّ أعظمي مبعوت .

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكتير الخبيت.

وفي هذه الأبيات وقع إبدال الثاء تاء في لفظتين وهما مبعوت والخبيت وهذه لهجة الشاعر وإنما أراد مبعوث والخبيث[1] .

ب –الدال والذال: لقد تطور صوت الذال في العامية التلمسانية وكل عاميات الحواضر العربية إلى دال كما في دبح وكداب وغير ذلك، ويمكن تفسير هذه الفوارق النطقية التي تبدو على ألسنة المنحدرين من منشأ مدني أو ريفي؛ ذلك أنّ بيئة الريف أو الجبل ترمز إلى خشونة الطبيعة وقساوتها أما بيئة المدينة فرقيقة تمثل رقة الحضارة ونعومتها فبديهي أنّ طبيعة البيئة السهلة في المدن والحواضر تنتج إنسانا رقيقا في تكوينه و طبعه فيلجأ إلى الأصوات السهلة التي تميزه عن خشونة البدوي .

وما من شك أنّ التلمسانيين تأثروا بالأندلسيين الذين وفدوا إلى المدينة بعد سقوط غرناطة سنة 1492، فقد وردت شواهد قوية في كتب لحن عامة تبين لنا أن من أبرز خصائص عربية الأندلس قلبها الذال دالا[2]، الأمر الذي يفسر شيوع هذا الخطأ في لهجتهم العامية إلى يومنا هذا.

ومما يُسوغ الإبدال بينهما هو أن الذال انتقل مخرجه إلى الداخل فتحولت صفته الرخوة إلى صفة شديدة ونطق دالا. ويشير عبد العزيز مطر إلى أن نطق الذال دالا ربما يكون ناتجا عن تصحيف وقع فيهما لاتفاق صورتهما ماعدا الإعجام[3]، وفي الوقت نفسه يعلل لهذه الظاهرة بأنها ناجمة عن التطور الصوتي في المخرج وفقا لنظرية السهولة في النطق[4].

(1)- المصدر نفسه، ج1،ص351.

(2)- أبو بكر محمد بن الحسن بن مدحج ،لحن العوام ، تحقيق عبد الوهاب التازي سعود، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1995،ص134.

(3)- عبد العزيز مطر،لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة،دار الكتاب العربي ، القاهرة،دط،1967،ص226 - 227.

(4) - ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص176

ج - الطاء (أو الدال المفخَمة) و الضاد أو (الظاء): لم يعد لصوتي الضاد و الظاء وجود في اللهجة التلمسانية الحديثة بل وفي كثير من اللهجات العربية العامية، فقد تحول إلى أصوات أخرى مشابهة حسب الأفراد والسياقات المختلفة التي يقع فيها هذا الصوت العربي.

ويبدو أن صوت الضاد كان ثقيلا على بعض الألسنة العربية، ناهيك عن المستعربين الذين دخلوا الإسلام، الأمر الذي جعلها تتطور في كثير من اللهجات العربية و الجزائرية[1] على وجه الخصوص إلى طاء أو دال مفخمة، ولقد ذكر الدكتور «إبراهيم أنيس» بأن الضاد القديمة كانت صعبة النطق على أهالي الحواضر التي فتحتها الجيوش العربية الإسلامية فأبدلوها طاءً أو ذالا مفخمة، وهي خاصية ميزتهم عن كل السكان البدو الذين استطاعوا أن يحافظوا عليها إلى يومنا هذا.

ومما يمتازبه الحضر في مدينتي تلمسان والجزائر العاصمة إبدالهم الظاء المطبقة (أو الضاد) طاء مطبقة، وترجع العلة إلى سهولة انتقال الظاء إلى الطاء لقربها في المخرج واشتراكهما في صفة الإطباق والاستعلاء وعليه تغيرت صفة الرخاوة في الظاء إلى صفة الشدة في الطاء ومن أمثلة الطاء التي سادت في قولهم : العطم ، رمطان ، طهر، بيطة ..

والظاهر أن هذه الميزات موجودة غالبا عند الفئة النسوية المسنّة باعتبارها أكثر حفاظا على الملمح الأصلي للهجة التلمسانية، في حين وجدنا خلال إقامتنا بأنّ باقي الفئات الاجتماعية الأخرى ينطقون صوتي الظاء والضاد (دون التمييز بينهما) دالا مفخمة، ومردّ ذلك يعود إلى الاحتكاك بسكان القرى و المدن المجاورة ناهيك عن تأثير المدرسة والتحكم في اللغة العربية الفصحى لاسيّما أصواتها، ومن أمثلته في اللهجة قولهم : دربني ، يدعف، الدلام.

---

(1)- نجد هذه الميزة في لهجة العاصمة، انظر نصيرة بودهينة، اللهجة الدزيرية، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر،1998، ص38.

ويبدو أن إبدال الظاء دالا حدث بعد إبدال هذا الصوت ذالا، ثم أبدل دالا كعادة التلمسانيين في التخلص من الأصوات الأسنانية، وإبدال الظاء ذالا له تبريره أيضا من الناحية الصوتية إذ أنّهما يّتفقان في المخرج ، ثم أبدل الذال دالا فزالت صفة الرخاوة، وكما هو معروف فإن الأصوات الشديدة أيسر نطقا من الأصوات الرخوة، ومن ثمة لجأت العامة في تلمسان إليها للاقتصاد في الجهد العضلي.

وفي صفوة الكلام يستقر لدينا أنّ ظاهرة الإبدال بين الصوامت، وإقامة بعضها مقام بعض من بين أهم الظواهر الصوتية التي شاعت على لسان الناطقين بالعامية التلمسانية، وأصبحت سنّة من سننهم وقانونا من قوانينهم أثناء الممارسة الكلامية، وذلك لتحقيق قدر من سهولة النطق والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول.

المراجع والمصادر:

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،مصر،دط،1965.

2-سعيد الأفغاني، قصة العامية في الشام، مجمع اللغة العربية في القاهرة، 1978،ج41.

3-التيجيني بن عيسى ، لهجة تلمسان وعلاقتها بالفصحى، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان،1993.

4-الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)البيان و التبيين ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان،دت ،ج1

5- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية ،لبنان، دت،ج1.

6-أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983، ج1.

7-ابن الجوزي ،تقويم اللسان ، تح عبد العزيزمطر ،دارالمعارف ،القاهرة،ط2، 2006.

8-عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، الجزائر،2007، ج1.

9-عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ،ط3،دت، ج4.

10-ابن دريد ،جمهرة اللغة ،تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ،ط1، 1987،ج1

11-عبده الراجحي،اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،المعرفة الجامعية، 1998.

12-أبوبكرمحمد بن الحسن بن مدحج الزبيدي ،لحن العوام ، تحقيق عبد الوهاب التازي سعود، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1995

13 - سيبويه (أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر) .الكتاب,تحقيق عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخليج، القاهرة، ط1982،2

14-فوزي حسن الشايب ، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط2004،1.

15- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة ،دط، 1994.

16-محمد عبد الله عطوات، اللغة بين الفصحى و العامية، دارالنهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

17-عادل هادي حمادي العبيدي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، مكتبة الثقافة الدينية ا،لقاهرة ،ط1، 2005

18-ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تعليق أحمد حسن بسج،دارالكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1997 .

19-مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها و حججها، تح محي الدين، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق،1974،ج1.

20- جان كانتينو ، في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية1966 دط.

21-عبد العزيز مطر،لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة،دار الكتاب العربي ، القاهرة،دط،1967

22-ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محققة.

23-هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمد عياد ، عالم الكتب ، لبنان، ط 2 ،1990

24-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، مصر، ط3، 2000،

25- موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ،لبنان،دت، ج10.

26- انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة بيروت ،لبنان،ط2002،1،ص41.

27-Philipe, marçais, les parlers arabes, esquisse grammaticale de l'arabe maghrébin, Larousse, 1977.